التوحيد

في تفسير سورة التوحيد

تأليف

ففيه أهل البيت عليهم السلام آية الله

الشيخ خليل المبشر الكاشاني مدظله العالي

www.ketab.ir

نام کتاب: التوحید (فی تفسیر السورة التوحید)
مؤلف: آیة الله خلیل المبشر الکاشانی
نوبت چاپ: اول ـ تابستان ۱۳۹۶
ویراستار فنی، چاپ و صحافی: کمیل، سلیمان‌زاده
شمارگان: ۱۰۰۰ نسخه
قیمت: ۳۵۰۰۰ ریال
صفحه‌آرایی: حسین افشان
طراحی جلد: حسن فرنگیان
مسئول تولید: شریف شایسته
شابک: ۹۷۸-۹۶۴-۳۰۴-۷۳۸-۲

شرکت چاپ و نشر بین‌الملل

دفتر مرکزی:
تهران، میدان استقلال، سعدی جنوبی، پلاک ۲،
طبقه‌ی سوم
تلفن: ۳۳۹۲۲۹۵۹ ـ ۰۲۱
نمابر: ۳۳۱۱۸۶۰۳

فروشگاه مرکزی:
میدان فلسطین، ضلع شمال شرق، پلاک ۴ و ۵
تلفن: ۸۸۹۲۱۹۸۰ ـ ۰۲۱
نمابر: ۸۸۹۰۳۸۴۳

Email: intlpub@intlpub.ir
www.intlpub.ir

همهٔ حقوق محفوظ است. هرگونه نسخه‌برداری، اعم از زیراکس و بازنویسی، ذخیره‌ی کامپیوتری اقتباس کلی و جزئی (به جز اقتباس جزئی در نقد و بررسی، اقتباس در گیومه در مستندنویسی و مانند آنها) بدون مجوز کتبی از ناشر ممنوع و از طریق مراجع قانونی قابل پیگیری است.

سرشناسه : مبشر کاشانی، خلیل، ۱۳۰۰ -
عنوان و نام پدید آور : التوحید فی تفسیر سوره التوحید/ تألیف خلیل المبشر الکاشانی مدظله العالی.
مشخصات نشر : تهران، الشرکه العالمیه للطباعه و النشر، ۱۳۹۶.
مشخصات ظاهری : ۴۸۰ ص.
شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۳۰۴-۷۳۸-۲
وضعیت فهرستنویسی : فیپا
یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : تفاسیر (سوره توحید)
موضوع : توحید -- جنبه‌های قرآنی
موضوع : Tawhid (Unity of God) -- Qur'anic teaching*
شناسه افزوده : سازمان تبلیغات اسلامی. شرکت چاپ و نشر بین‌الملل
رده بندی کنگره : ۱۳۹۶ ۹ ت ۲ م/ BP ۱۰۲/۹۸۴
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۸
شماره کتابشناسی ملی: ۴۸۳۲۱۶۲

www.ketab.ir

الفِهرسُ الإجمالِيُّ

المقدّمة ٧

الفصل الأوّل: التوحيد الفكري ١٧

الفصل الثاني: وجوب معرفة الله ٤٣

الفصل الثالث: التوحيد وأقسامه ٨٧

الفصل الرابع: كيفيّة تنزيل القرآن ٣٠٧

الفصل الخامس: تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» ٣٤١

الفصل السادس: تفسير «قل هو الله أحد» ٣٨٩

الفصل السابع: تفسير «الله الصمد» ٥٠٩

الفصل الثامن: تفسير «لم يلد ولم يولد» ٥٤٣

الفصل التاسع: تفسير: «ولم يكن له كفواً أحد» ٥٥٧

الفصل العاشر: فضائل قراءة السورة ٥٦٥

الفصل الحادي عشر: أسرار السورة وآثارها ٦٢٥

فهرس المصادر ٦٥١

الفهرس التفصيلي للموضوعات ٦٦٣

www.ketab.ir

المقدّمة

الحمد لله الذي لا إله إلّا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأبصار، والحمد لله الذي خلق الخلائق بقدرته، وأبدع النفوس المقدّسة المطهّرة، وعرّف نفسه بأنطقها بتوحيده، وتوحّد بالربوبيّة وتفرّد بالتوحيد، والصلاة والسلام على عباده المنتجبين، سيّما أركان التوحيد، حبيبه ورسوله محمّد وآله الأصفياء الأتقياء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

أساس الدين، معرفة الله وتوحيده

أمّا بعد، اعلم أنّ أساس الديانة معرفة الله وتوحيده تبارك وتعالى، وكنّا مأمورين بمعرفته تشريعاً كما كنّا مفطورين على توحيده تكويناً، والتوحيد يتجلّى في كتب الأنفس كما يتجلّى في كتابي التكوين والتشريع، وكان التوحيد أعلى الدرجات والمدارج لما قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «معرفة الله سبحانه أعلى المعارف»[1]. وكان أيضاً من أعظم نعم الله على عباده الموحّدين، وكان جزاء الموحّد الجنّة كما روى الصدوق﵀ بإسناده إلى أحمد بن عبدالله الجويباري عن

---

١. غرر الحكم: ج ٦ ص ١٤٨ ح ٩٨٦٤.

www.ketab.ir

الرضا عليّ بن موسىٰ عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما جزاء من أنعم الله عليه بالتوحيد إلّا الجَنَّةُ».[١]

فيجب علينا تحصيل معرفته قدر استطاعتنا العقليّة والنفسيّة والقلبيّة ـ وإن لم نقدر علىٰ ذلك حقّ معرفته؛ لأنّه تعالىٰ محتجب عن العقول كما تدلّ عليه الأخبار الكثيرة ـ لتقوية أساس ديانتنا بنور معرفته سبحانه وتعالىٰ بما أنزل الله في كتابه وفسّر النبيّ صلى الله عليه وآله وأهلُ بيته عليهم السلام، كما أمر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأُولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»[٢]، أي: إعرفوا الله بما وصف به نفسه في كتابه.

الإنسان مفطور على المعرفة والتوحيد

في الكافي عن محمّد الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟[٣]، قال: «فطرهم على التوحيد».[٤]

وفيه: عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾[٥] قال: «الحنيفيّة من الفطرة التي فطر الله الناسَ عليها، لا تبديل لخلق الله». قال: «فطرَهم على المعرفة به».[٦]

---

١. التوحيد: ص ٢٢ ح ١٧.
٢. الكافي: ج ١ ص ٨٥ ح ١.
٣. الروم: ٣٠.
٤. الكافي: ج ٢ ص ١٣ ح ٥.
٥. الحجّ: ٣١.
٦. الكافي: ج ٢ ص ١٢ ح ٤.

www.ketab.ir

وسيأتي البحث عنه تفصيلاً إن شاء الله تعالى.

إنّ الله لا يوصف بصفات المخلوقين

الروايات الواردة بهذا المضمون كثيرة، منها ما في الكافي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «... هو كما وَصَفَ نفسَه والواصفون لا يَبلُغون نَعْتَه».[1]

ومنها ما في التوحيد: «وهو القديم وما سواه مخلوق مُحدَث، تعالى عن صفات المخلوقين عُلوّاً كبيراً».[2]

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: «أمّا التوحيد فأنْ لا تُجَوِّزَ على ربّك ما جاز عليك»[3]. أي: لا تَتَّصِف ربَّك بما تَتَّصِفُ به نفسَك.

وفيه أيضاً: «... هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يَصِفُه الواصفون ...»[4]. أي: تعالى الله عمّا يصفه الواصفون بغير ما وَصَفَ الله نفسَه.

إنّ الله لا يوصف إلاّ بما وَصَفَ نفسَه في كتابه

فلابدّ لنا أنْ نعرفه بما وصف نفسه في سورة التوحيد وسائر الآيات التوحيديّة في كتابه كما روي في بحار الأنوار عن محمّد بن أبي عمير قال: دخلت على سيّدي موسى بن جعفر عليه السلام، فقلت له: يابن رسول الله علّمني التوحيد، فقال: «يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله ـ تعالى ذكره ـ في كتابه فتَهلِكَ، واعلم أنّ الله

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٣٥ ح ١.

٢. بحارالأنوار: ج ٤ ص ٢٩٦ ح ٢٣.

٣. التوحيد: ص ٩٦ ح ١.

٤. التوحيد: ص ١٠٠ ح ١٥.

www.ketab.ir

تبارك وتعالى واحدٌ أحدٌ صمدٌ، لم يلد فيورَثَ، ولم يُولد فيُشارَكَ، ولم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً ولا شريكاً ...».[١]

وفي رواية قال الصادق عليه السلام: «... فاعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزَل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ، فَانفِ عن الله البطلانَ والتشبيهَ، فلا نفي ولا تشبيه وهو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعدُ القرآن فتضِل بعد البيان».[٢]

وكما في حديث محمّد بن حكيم حيث قال: كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى أبي: سألَ الله أجلّ وأجلّ وأعظم من أن يُبلغَ كُنْه صفته، فصِفُوه بما وصف به نَفْسه وكفّوا عما سوى ذلك».[٣]

وروي في الكافي أيضاً عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ـ إلى أن قال ـ: «... سبحانك ما عرفوك ولا وحّدوك بمِن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لَوَصفوك بما وصفتَ به نفسك ...».[٤]

وأيضاً في الباب، بإسناده إلى الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ الله لا يُوصف وكيف يُوصف وقد قال في كتابه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٥]، فلا يوصف بقدرٍ إلّا كان أعظم من ذلك».[٦]

---

١. بحارالأنوار: ج ٤ ص ٢٩٦ ح ٢٣.
٢. التوحيد: ص ٢٢٨ ح ٧ و ص ١٠٢ ح ١٥.
٣. الكافي: ج ١ ص ١٠٢ ح ٦.
٤. الكافي: ج ١ ص ١٠١ ح ٣.
٥. الأنعام: ٩١.
٦. الكافي: ج ١ ص ١٠٣ ح ١١.

www.ketab.ir

وقال الله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[١]، وقد استثنىٰ في الآية توصيف عباد الله المخلَصين؛ لأنّهم لا يصفونه إلّا بما وصف به نفسه في كتابه أو بما عرّفهم الله نفسه، كما أجاب أميرالمؤمنين ﷺ حينما سُئل: بمَ عرفتَ ربّك؟ قال ﷺ: «بما عرّفني نفسه ...».[٢]

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآيتين المذكورتين: «... والاستثناء متّصل والمعنى هو تنزيه عن كلّ ما يصفه الواصفون إلّا عباد الله المخلصين. وذلك أنّهم إنّما يصفونه بمفاهيم محدودة عندهم وهو سبحانه غير محدود، لا يحيط به حدّ، ولا يدركه نعت فكلّما وصف به فهو أجلّ منه، وكلّ ما توهّم أنّه هو فهو غيره، لكن له سبحانه عباد أخلصهم لنفسه، وخصّهم بنفسه، لا يشاركه فيهم أحد غيره، فعرّفهم نفسه وأنساهم غيره، يعرفونه ويعرفون غير به، فإذا وصفوه في نفوسهم وصفوه بما يليق بساحة كبريائه، وإذا وصفوه بألسنتهم ـ والألفاظ قاصرة والمعاني محدودة ـ اعترفوا بقصور البيان وأقرّوا بكلال اللسان كما قال النبيّ ﷺ وهو سيّد المخلصين: "لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك" فافهم ذلك».[٣]

وفي الكافي عن عليّ بن موسى الرضا ﷺ: «إنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، وأنّى يوصف الذي تعجز الحواسّ أنْ تدركه، والأوهام أنْ تناله، والخطرات أنْ تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا وصفه الواصفون وتعالى عمّا ينعته الناعتون ...».[٤]

---

١. الصافات: ١٥٩و ١٦٠.

٢. الكافي: ج ١ ص ٨٦ ح ٢؛ التوحيد: ص ٢٨٥ ح ٢؛ بحارالأنوار: ج ٤ ص ٣٠٣ ح ٣٢.

٣. الميزان في تفسير القرآن: ج ١٧ ص ١٧٤.

٤. الكافي: ج ١ ص ١٣٨ ح ٣.

www.ketab.ir

ولا يخفى أنّ المعرفة الحقّة تحصل للقلوب الصافية المطهّرة بإشراق أنوار الجلالية والجمالية لأنّه تعالى نوّر قلوب أوليائه بإشراق أنوار معرفته فعرفوه ووحّدوه بذلك كما ورد في الدعاء لمولانا الإمام الحسين بن علي عليه السلام في يوم عرفة: «أنت الذي أشْرَقْتَ الأنوار في قُلوب أوْليائك حتّىٰ عرفوك ووحّدوك».[١]

ولهذا قال الإمام السجّاد عليه السلام في الصحيفة السجّادية في الدعاء الأوّل: «الحمدُ لله على ما عرّفنا نفسه، وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنّبنا من الإلحاد والشكّ في أمره ...».

والآيات النازلة والروايات الواردة والدعوات المأثورة في مباحث معرفة الله علىٰ قسمين:

أحدهما: ما يكون ناهياً عن التفكر في ذات الله وكنهها، بل في كنه صفاته؛ لأنّها محجوبة عن العقول والأوهام مستورة عنها ولا تدركها؛ لعدم إحاطة الوهميّة بها؛ ولأنّ المحاط لا يحيط والمحيط لا يحاط. ففي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «عجز الواصفون عن كنه صفته، ولا يطبّق العاملون معرفة إلٰهيّته، ولا يَحدّون حدوده؛ لأنّه بالكيفيّة لا يُتناهىٰ إليه».[٢]

وأيضاً القلوب تعرفه سبحانه إلٰهاً واحداً بلاكيفيّة، كما فسر أمير المؤمنين عليه السلام أنّه واحدٌ بلاكيفيّة وأنّ القلوب تعرفه بلا تصوير ولا إحاطة.[٣]

ثانيهما: ما يكون آمراً بلزوم معرفته سبحانه ووجوبها وطريقها مقيّداً بما وصف

---

١. الإقبال (الطبعة الحجرية): ص ٣٤٩؛ بحارالأنوار: ج ٩٨ ص ٢٢٦.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٣٧ ح ٢.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٣٧.

www.ketab.ir

الله نفسه ﷻ في كتابه، وبما وصفه النبيّ ﷺ والأئمّة المعصومون ﷺ؛ لأنّهم وصفوا الله بما وصف به نفسه، تفسيراً وتأويلاً للآيات النازلة في القرآن الكريم، كسورة التوحيد وسائر السور والآيات التوحيديّة الدالّة على توحيده الذاتي والصفاتي والأفعالي.

ففي الأوّل يُعرّف أنّه تعالىٰ لا شريك له ولا مثل ولا ندّ، ولا يكون له جزء ولا يكون مركباً و... ولا تُحصىٰ دلائله، وفي الثاني بأنّ صفاته لا تتناهى، وكلّها راجعة إلىٰ وحدة ذاته الأقدس أي الوحدة الذاتية الحقيقيّة القيّوميّة، وفي الثالث أنّ الواحد الحقيقي ـ وهو الله تعالىٰ ـ لا يصدر عنه بمعنى لا يتجلّىٰ عنه إلّا الواحد.

هذا إجمال الكلام، وأفصله وحسنه في الله تعالىٰ ما قال الإمام موسى الكاظم ﷺ علىٰ ما رواه الكليني ﷺ عنه في الكافي، ونقل عنه في الوافي في أبواب معرفة الله سبحانه: رواه محمّد بن الحسين عن صالح بن حمزة عن فتح بن عبدالله مولىٰ بني هاشم قال: كتبت إلىٰ أبي إبراهيم ﷺ أسأله عن شيءٍ من التوحيد فكتب إليَّ بخطّه:

«الحمد لله الملهم عباده حمده ... [إلىٰ قوله ﷺ:] أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصّفات عنه بشهادة [الشهادة] كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل، فمن وصف الله فقد حدّه، ومَنْ حدّه فقد عدّه، ومَنْ عَدَّهُ فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: فيم[فيما]؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علامَ [علىٰ ما]؟ فقد جهله، ومَنْ قال: أيْن؟ فقد أخلى منه، ومَنْ قال: ما هو؟ فقد نعّته، ومن قال: إلى مَ [إلىٰ ما]؟ فقد غاياه، عالم إذ

www.ketab.ir

لا معلوم، وخالقٌ إذ لا مخلوقَ، وربٌّ إذ لا مربُوبَ، وكذلك يوصَف ربّنا و[كان] فوق ما يصفه الواصفون».[١]

فلابدّ لنا أيضاً من الرجوع إلى الروايات وكلمات النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام لمعرفة الربّ، كما قال الكليني رحمه الله في ذيل حديث أميرالمؤمنين عليه السلام[٢] في باب جوامع التوحيد: «لو اجتمع ألسنةُ الجِنّ والإنْس ليس فيها لسان نبيٍّ علىٰ أنْ يُبَيِّنوا التوحيد مثل ما أتىٰ به ـ بأبي وأُمّي ـ ما قدروا عليه ولولا إبانَتُهُ عليه السلام، ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد ...».[٣]

وفي التوحيد بإسناده إلى فضيل بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخل عليه قوم من هولاءِ الذين يتكلّمون في الربوبيّة، فقال: «اتّقوالله وعظّموا الله ولا تقولوا ما لا نقول، فإنّكم إنْ قلتم خلقنا ومتنا ثمّ بعثكم الله وبُعثنا، فكنتم حيث شاء الله وكنّا».[٤]

شكر وتقدير

يطيب لي في ختام هذه المقدّمة، أن أتقدّم بعظيم شكري ووافر امتناني إلى جميع الإخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهودهم المشكورة ومساعيهم المحمودة في إعداد هذا الأثر النفيس وإصداره، خاصّة ولدي وقرّة عيني المهندس وحيد المبشّر الكاشاني الذي اضطلع بالمهمّة الأساسيّة، وتحمّل العبء الكبير في هذا المجال والفاضل المحقّق الشيخ رسول الأُفقي الذي ساهم في ضبط المتون

١. **الكافي**: ج ١ ص ١٤٠ ح ٦؛ **الوافي**: ج ١ ص ٤٣٨.
٢. **الكافي**: ج ١ ص ١٣٤ ح ١.
٣. **الكافي**: ج ١ ص ١٣٦.
٤. **التوحيد**: ص ٤٤٣ ح ١٥.

www.ketab.ir

وتخريج بعض النصوص فجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء في الدارين.

اللّهمّ اجعلنا من العارفين بك والموحّدين بتوحيدك الخالص، والمؤمنين بك وبرسولكﷺ وأوصيائه المعصومينعليهم السلام والعاملين بكتابك المنزل، ومن الذين أنعمت عليهم بولاية مولانا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وأولاده المعصومينعليهم السلام، غير المغضوب عليهم ولا الضالّين، واحشرنا مع محمّد وآله الطيّبين الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين، آمين ربّ العالمين.

قم المقدّسة ـ خليل بن إبراهيم المبشّر الكاشاني

www.ketab.ir